**جامعة محمد بوضياف**

**كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية**

**قسم الفلسفة**

**مقياس : فكر شرقي- قديم- السنة الثانية ليسانس السداسي الأول: 2021-2022**

**د: بوزبرة عبد السلام**

# المحاضرة الرابعة: الفكر الهندي

**مقدمة:** جاء اسم الهند في العربية من اللفظة الهندية سندهو (وتعني النهر) التي أطلقت على نهر إيندوس Indus (أي السند)، والتي حورها الفرس إلى كلمة هندو وأطلقوها على شمالي الهند بصيغة هندوستان، ومنها اشتقت أيضاً تسمية الهند باللغات الأجنبية (india). شبه القارة الهندية هي موطن إحدى أقدم الحضارات في العالم وأكثرها تميزاً وتأثيراً، وقد اشتهرت على مدى الأيام بالحكمة والزهد والروحانية وخصب الخيال وعمق التفكير، ولكن لا يعرف عن نشأة هذه الحضارة وإنجازاتها الكبيرة في القديم إلا النزر اليسير من خلال الشواهد والتنقيبات الأثرية التي تبقى المصدر الأول لمعرفتها، إضافة إلى ما خلفته من أشعار وملاحم وأساطير ومعتقدات. للهند تاريخ عريق مغرق في القدم، غير أنه معقد ومتداخل، إذ لم تعرف البلاد الوحدة في تاريخها القديم فهناك تاريخ للشمال بدوله المختلفة المتصارعة وأحداثه الكبيرة ، وتاريخ للجنوب اتسم بالرتابة والمحافظة على التقاليد الموروثة.

**1-روح الفلسفة الهندية وخصائصها**

الفلسفة الهندية معقدة للغاية. وخلال العصور، تعمق العقل الفلسفي الهندي في دراسة الأوجُه المتعددة للخبرة الإنسانية وللعالم الخارجي. وعلى الرغم من أن بعض الطرق، مثل الطريقة التجريبية للعالم الحديث، كانت أقل تقدمًا من غيرها، لكن النتائج التي بلغتْها الفلسفةُ الهندية في معرفة الحقيقة كانت عميقة ومتنوعة، تمامًا كالموروثات الفلسفية الأخرى. والحق أن المناهج الهندية الستة الأساسية، ومناهجها الثانوية العديدة، ومدارس البوذية الأربع الرئيسة، والمدرستين التابعتين للجينية، ومادية تشارفاكا، تُعَد براهين على أن تنوع الآراء في الفلسفة الهندية أمر لا ريب فيه. وهكذا يصعب علينا أن نصف الفلسفة الهندية ككل بصفات أو طرق معينة، كما يصعب تطبيقها على جميع المناهج العديدة والثانوية للفكر الفلسفي الهندي

التي تطورت خلال أربعة آلاف سنة تقريبًا. غير أن ثمة ما نستطيع أن نميّز به هذه الفلسفة عن غيرها. ويمكن لنا أن نوضح هذه الميزات باتجاهات العقل الفلسفي الهندي أو بـ"وجهات النظر" التي شرحها الهنود في فلسفاتهم.

***- تتركز قيمة الفلسفة الهندية في الفكر الروحي**

يُعتَبر الدافع الروحي هامًّا في حقلَي الحياة والفلسفة. إذ تنظر الفلسفة الهندية إلى الإنسان على أنه كائن روحي في طبيعته، وتهتم لمصيره الروحي، كما توحِّده مع وجود روحي في جوهره. لكن هذه النظرة لا تنطبق على مدرسة تشارفاكا المادية: باستثناء هذه المدرسة المادية، لا يُعتبَر الإنسان أو الكون ماديين من حيث الجوهر؛ كما أن نجاح الإنسان وازدهاره لا يشكلان هدفًا للحياة الإنسانية. وترتبط الفلسفة بالدين ارتباطًا وثيقًا، وذلك باعتبار الدين تأملاً فلسفيًّا، لأن الدافع الرئيس في الفلسفة والدين كليهما يكمن في السلوك سلوكًا روحيًّا في الحياة الأرضية وفي بلوغ خلاص الإنسان في علاقته بالكون. وهكذا تكون الفلسفة الهندية كلها، من بدايتها في الفيدا إلى الوقت الحاضر، قد جاهدت لتحقيق إصلاح اجتماعي–روحي في البلاد. وفي هذا السبيل، اتخذ الأدب الفلسفي أشكالاً عديدة، ميثولوجية وشعبية أو فنية وعلمية، وذلك لكي يرتقي بها إلى مستوى الحياة الروحية. حقًّا إن المسائل الدينية كانت، ومازالت، سبب عمق وقوة وغاية العقل والروح في الفلسفة الهندية.

***- تتيقن الفلسفة الهندية من علاقة الفلسفة بالحياة**

يتحقق هذا التطبيق العملي للفلسفة في الحياة في كلِّ مدرسة فلسفية هندية تقريبًا. وعلى الرغم من أن الغزارة الطبيعية والازدهار المادي قد عبَّدا الطريق لإشراق فكر فلسفي، لكن الفلسفة لم تُعتبَر، مع ذلك، رياضةً ذهنيةً قط. لذا برزت العلاقة الوثيقة بين النظرية والواقع، بين العقيدة والحياة، في الفكر الهندي. وتبحث كل مدرسة فكرية هندية عن الحقيقة لا لذاتها، بل لتجعل الناس أحرارًا. ولا يعني هذا البحث شيئًا من الذرائعية لأنه أعمق وأعظم منها بكثير. فالحقيقة لا تقاس بالواقع والعمل فقط، بل تُعَد المرشد الوحيد للعمل والقائد الوحيد للإنسان الذي يفتش عن الخلاص. وينطلق كل منهج فلسفي هندي من مشكلات الحياة المأسوية والعملية، ويبحث عن الحقيقة لكي يحل مسألة شقاء الإنسان في العالم الذي يجد نفسه فيه. وهكذا لم تكن التعاليم الهندية مجرد كلمات أو معتقدات مدرسية. فكل معتقد في هذه الفلسفة يعمل على تفتيح قلب الإنسان وتحويل طبيعته. في الهند تعاش الفلسفة لأنها فلسفة حياة – وهذا لأنه لا يكفي أن نعرف الحقيقة، بل لا مناص لنا من أن نحياها. لذا لا يهدف الهندي إلى معرفة الحقيقة المطلقة وحسب، بل يسعى إلى تحقيقها ليتحد معها.

إن ما يؤكد العلاقة الوثيقة القائمة بين النظر والعمل، بين الفلسفة والحياة، في الفلسفة الهندية، هو التشديد على الطهارة الأخلاقية كضرورة حتمية لطالب الفلسفة أو الباحث عن الحقيقة. وفي هذا الصدد، يدعو شنكرا إلى التمييز بين الأبدي وغير الأبدي؛ وهذا يعني أنه يعلِّم الطالب أن يتحلَّى بمزية التساؤل ويحثه على الكف عن الرغبة في ثمار العمل، في هذه الحياة أو في الحياة المقبلة، كما يطالبه بأن يتنكر لكلِّ الرغبات البسيطة والدوافع الذاتية. ويدعو شنكرا إلى ضبط النفس، ونكران الذات، والصبر، وسكينة الذهن، والإيمان؛ كما يشدد على التحرر لتسهيل بلوغ الغاية العليا للحياة.

***- تتصف الفلسفة الهندية بموقفها وتقرُّبها الباطنيين من الحقيقة**

تتصل الفلسفة اتصالاً وثيقًا بمعرفة الذات. وتنطلق هذه الفلسفة من العالم الخارجي أو من العالم الداخلي، من طبيعة الإنسان الفطرية، أي من ذات الإنسان (أتما). وفي سيرها لبلوغ الحقيقة، اهتمت الفلسفة الهندية بحياة الإنسان الداخلية أكثر مما اهتمت بالعالم الخارجي وبالطبيعة المادية. والعلم المادي، على الرغم من تطوره في العصر الذهبي للحضارة الهندية، لم يُعتبَر الطريق الذي يؤدي إلى الحقيقة التي لا توجد إلا في الداخل. فالعقل، وليس الموضوع، يحظى باهتمام الفلسفة الهندية. وهكذا يُعتبَر علم النفس وعلم الأخلاق فرعين للفلسفة؛ وهما بهذه المثابة أهم من العلوم التي تدرس الطبيعة المادية فقط. ولا يعني قولنا هذا إن العقل الهندي تغاضى عن دراسة طبيعة العالم المادي؛ بل على العكس، تفوقت الهند في بحوثها العلمية عمومًا، وفي العلوم الرياضية، كالجبر والفلك والهندسة بخاصة، واشتهرت بتطبيق هذه العلوم الأساسية في مجالات عديدة من النشاط الإنساني، وفي الوقت ذاته، أحرز الفكر الهندي تقدمًا في ميادين علم الحيوان والنبات والطب. لكن الهنود شعروا، منذ وقت طويل جدًّا، بأن روح الإنسان الباطنة هي المفتاح أو السر الوحيد لحقيقته وحقيقة الكون، وهي ذات دلالة أسمى من العالم المادي أو الخارجي.

***- الاهتمام بالباطن سبيل إلى المثالية**

يتميز معظم فلاسفة الهند بأنهم "مثاليون"، بوجه أو بآخر. وتظهر مثالية الفلسفة الهندية، الهندوسية خاصة، بميلها إلى مثالية التوحيد. وتعتقد هذه الفلسفة، في غالبيتها، أن الحقيقة واحدة في مطلقها وروحية في مطلقها. ويبدو أن بعض المناهج قد اعتنق الثنوية أو التعددية، لكنه صَبَغَها بطابع الواحدية الوجودية. وإذا ما ركَّزنا تفكيرنا على ما تحتويه الفلسفة الهندية ككل، دون الانتباه إلى فروعها المختلفة، نجد أنها تشرح الحياة والحقيقة في ضوء مثالية الواحدية الوجودية. ويعود هذا إلى مرونة العقل الهندي وإلى مرونة المثالية الواحدية وديناميتها التي تتخذ أشكالاً عديدة وتعبِّر عن نفسها كوحدة – حتى في العقائد المتنازِعة. وفي

الواقع، لا تُعتبَر هذه الوقائع متناقضةً بقدر ما تُعتبَر أوجهًا مختلفة للتعبير عن وحدة أساسية تكتنف الفلسفة الهندية جمعاء.

لعبت الفلسفة المادية دورها إبان مرحلة معينة في الهند. وعلى الرغم من محاولة المدارس الروحية إسكاتها، لكنها وجدت قبولاً لها عند بعض الناس. وعلى كلِّ حال، لم تستطع هذه المادية أن تستمر، وذلك لقلة أتباعها ولضآلة تأثيرها الإيجابي. لقد عرفت الفلسفة الهندية النزعة المادية، لكنها تغلَّبتْ عليها، وتقبَّلتْ المثالية، وجعلت منها النظرة الوحيدة القائمة، حتى ولو اتخذت لذاتها مضمونًا معينًا.

***-تعتمد الفلسفة الهندية على الكشف وسيلةً إلى معرفة المطلق وعلى الفكر وسيلةً إلى معرفة النسبي**

الفكر والمعرفة الفكرية لا يكفيان. فعلى الرغم من أن الفكر لا يخطئ كليًّا، لكنه لا يكفي. فلكي يعرف الإنسانُ الحقيقةَ عليه أن يحظى باختبارها فعليًّا. ففي الفلسفة الهندية لا يعرف الإنسان الحقيقة وحسب، بل يحققها. أما الكلمة التي تعني "فلسفة" في الهند فهي درشنا التي تُشتَق من الجذر درش الذي يعني "الرؤيا". و"الرؤيا" هذه تعني أن نتجهز بخبرة كشفية مباشرة في الموضوع لنتحد معه. وتتعذر علينا المعرفة مادام الفكر والموضوع مختلفين أو متباعدين. وقد اعتمدت المذاهب اللاحقة للفلسفة الهندية، حتى منذ بداية المناهج، على الفكر من أجل صياغة ممنهَجة للمذاهب والمناهج، ومن أجل إيجاد تبريرات منطقية، كما اعتمدت عليه في حسم المناظرات التي كانت تقوم بين منهج وآخر. ومع ذلك، تعتمد المناهج كلها، ماعدا منهج تشارفاكا المادي، على وجود طريق أعلى لمعرفة الحقيقة، طريق أسمى من الفكر، هو الإدراك المباشر أو اختبار الحقيقة المطلقة التي لا يمكن الوصول إليها بالفكر بأيِّ شكل من الأشكال. يستطيع الفكر أن "يشير" إلى الحقيقة، لكنه لا يستطيع أن يكتشفها أو يبلغها. فإذا كان الفكر وسيلة الفلسفة بمعناها الفكري، كان الكشف الوسيلة الوحيدة لإدراك المطلق. وهكذا تعتمد الفلسفة الهندية اعتمادًا كليًّا على الكشف، وتعترف بفاعلية الفكر والذكاء عندما يطبَّقان في نطاق طاقتهما المحدودة أو فيما يناسبهما من استعمالات.

***- تعترف الفلسفة الهندية بالمرجعيات القديمة**

على الرغم من اختلاف مناهج هذه الفلسفة في نطاق عودتها إلى شروتي القديمة وعلاقتها بها، فإنها تقف – الأرثوذكسي منها وغير الأرثوذكسي، باستثناء تشارفاكا – موقفًا نبيلاً وتتقبل البصيرة الكشفية التي تكلم عليها أصحاب الرؤى الأقدمون في الأوپنشاد، أكان مختبروها بوذيين أم مهافيريين (نسبة إلى مهافيرا، مؤسِّس الجينية) أم غيرهم. لقد أدرك الفلاسفة الهنود قيمة الموروث، كما أفصح عنه الأقدمون؛ ولم يخرج الفلاسفة الذين يعودون إلى الفترات المتأخرة عن كونهم شارحين للحكمة القديمة أو معلِّقين عليها. وعلى

الرغم من التبدل الذي طرأ على المذاهب القديمة، لكن روحها وأفكارها الأساسية حافظت على قيمتها على مدى العصور.

والحق أن احترام المرجعيات لا يقف حائلاً دون التقدم، لأن استمرار الفكر، وإنْ لم يكن على صعيد واحد، لا يقضي على وحدة المعتقدات ولا يناقض صفاتِها الأساسية التي تقوم على الروحانية والباطنية والكشف والاعتقاد الوطيد بأن الحقيقة يجب أن تعاش، لا أن تُعرَف وحسب.

إن احترام الهنود الشديد لرائيهم الأقدمين – وإنْ يكن مبالَغًا فيه – ينبع من اعتقادهم بأن الذين يعرفون الحقيقة فعلاً هم هؤلاء الذين يحققون الحقيقة. لذلك فهم يوجهون أنظارهم نحوهم ليدركوا الحقيقة التي أدركها سالفوهم. لقد أبدعت الهند مذاهب كثيرة ومناهج فلسفية عديدة؛ وقد تم هذا الإبداع على الرغم من احترام الهنود لحكمائهم الأقدمين واعتبارهم مكتشفي الحكمة. ويظهر احترام الهنود لمكتشفي الحقيقة الأقدمين وإبداعهم المستمر في إعلانهم أن الفلسفة الهندية ليست معتقدًا دينيًّا مذهبيًّا، بل هي فكرة واحدة تدور حول موضوعات عديدة. ويبدو تحرُّر هذه المناهج من النزعة التقليدية القديمة في أن مذهب سامكهيا الأصلي، مثلاً، لا يذكر شيئًا عن إمكان وجود الله، على الرغم من وضوح الفكرة في مذهبه. ويعترف اليوگا والفيشِشكا بوجود الله، لكنهما لا يعترفان بأنه خالق العالم المادي؛ أما ميمامسا فإنه يتحدث عن الله، لكنه ينفي أهميته ويُدخِل فاعليته في باب النظام الأخلاقي للعالم. ولكي نفهم هذه الأمور فهمًا أوضح، علينا أن نعود إلى المناهج البوذية الأولى التي ترفض الإله الشخصي وإلى تشارفاكا التي تنكر وجود الإله اللاشخصي. وهذا ما يدلنا على اعتماد الفكر الفلسفي الهندي على مقوماته الأولى والقديمة على الرغم من اختلافه معها.

***- ضرورة النقل لروح الفلسفة الهندية ونهجها**

تعود هذه الفكرة إلى رِگ فيدا، حيث أدرك الراؤون أن "الدين الحق" يشتمل على جميع الأديان: الله واحد، لكن الناس يدعونه بأسماء مختلفة. وتعترف الفلسفة الهندية، بطريقتها التأليفية، بالمظاهر المتعددة للتجربة والحقيقة. فالدين والفلسفة، المعرفة والسلوك، الكشف والفكر، الإنسان والطبيعة، الله والإنسان، الظاهر والباطن، مظاهر تنسجم كلها في الميل "التأليفي" للعقل الهندي. ويميل الهندوسي إلى الاعتقاد بأن المناهج الستة، بالإضافة إلى اختلافاتها وفروعها الثانوية، ينسجم بعضها مع بعض وتتكامل في الرؤيا الكلِّية الواحدة.

ولدى مقارنتها بالفلسفة الغربية، بموقفها التحليلي حيال المعرفة والتجربة، تكون الفلسفة الهندية "تأليفية". فالنصوص الأساسية لهذه الفلسفة لا تهتم لمظهر واحد للتجربة والحقيقة، بل تهتم لمحتوى النطاق الفلسفي كلِّه. فالميتافيزياء، والإپستمولوجيا، والأخلاق، والدين، وعلم النفس، إلخ، مسالك لا ينفصل أحدها عن المسالك الأخرى؛ بل إن الفكر يتعامل معها في وحدتها الطبيعية كمظاهر لحياة وتجربة واحدة أو لحقيقة

واحدة شاملة. هذه الرؤيا التأليفية للفلسفة الهندية هي التي حققت هذا التسامح الديني والفكري الذي نراه في الفكر الهندي خلال العصور. والمنازعات الحديثة بين الجاليات الدينية القائمة لأسباب سياسية ليست من فعل العقل الهندي، بل هي خصم لدود لعبقريته الفريدة الساعية إلى التكيف والتسامح الذي يجمع الفرق والملل ضمن حقيقة واحدة وحياة واحدة.

بالإضافة إلى هذه الصفات النظرية والعقلية الملازمة للفلسفة الهندية، نجد وحدةً فكريةً متماسكةً أساسيةً في الحقل العملي. ولهذه الوحدة أوجُه عديدة. ففي الدرجة الأولى، تنبع مواضيع فلسفات الهند – هندوسية وبوذية وجينية وتشارفاكا – من القضايا العملية لحياة الإنسان ومن قصوره وآلامه التي تتألق في ذروته – باستثناء عقيدة تشارفاكا – في الانعتاق الكامل. وفي كلِّ حالة، بما فيها التشارفاكا، يتسم الموضوع بالواقعية أكثر من النظرية، وذلك لأن تشارفاكا لا يهتم بالنظري لذاته، بل لعيش حياة اللذة، من حيث إن هذه تُبرِز نمطًا آخر من أنماط الحياة. لذا فإن غاية الحياة في الهندوسية والبوذية والجينية واحدة في الجوهر: مفهوم "الانعتاق" (مُكشا) هو الموضوع الرئيسي في الهندوسية والجينية، تمامًا كما يتحقق في النيرفانا، غاية البوذية. أما المعنى الدقيق للانعتاق فإنه يختلف بين المدارس الهندوسية والبوذية ذاتها؛ لكن المعاني الأساسية لمُكشا (الانعتاق) والنيرفانا ("الفناء") هي الغبطة التي تعني التحرر من الشقاء والألم والانعتاق من دورة التجسد من جديد (سمسارا). وأحيانًا، يبدو الهدف سلبيًّا، إذ يشير فقط إلى التحرر من الألم ومن التقمص؛ ومع ذلك، فهو يعني العمل الإيجابي من أجل تحقيق حياة أغنى وأكمل والوصول إلى الغبطة الأبدية. فالروح تعمل من جديد على تحقيق صفائها الأصلي لتتحد مع المطلق وتقيم علاقتها مع الله بمجرد الوجود الأزلي للروح النقية في فرديتها، وفي كلِّ الأحوال، تتحرر من قصورها وتورُّطها في الحياة.

لمناهج ومدارس الفلسفة الهندية عقلٌ واحد في ما يتعلق بغاية الحياة وبوجود صالح على الأرض. فالروح الأساسية لفلسفة الحياة في الهندوسية والبوذية والجينية تكمن في اللاتعلق (الزهد). ويُعتبَر اللاتعلق هذا موقفًا عقليًّا يحققه الفرد في النصيب المقسوم له من الحياة. وعلى هذا الأساس، يحيا وجودًا يوميًّا "عاديًّا" مع الناس، دون أن يتبرم بنتائج أفعاله أو يتورط فيها؛ وبهذا يبلغ نوعًا من التسامي الروحي والعقلي على المفاهيم الأرضية دون أن تستعبده. ولا يكون هذا الموقف سلبيًّا أو هروبًا، لأن الفرد يشارك في نشاطاته اليومية بما يتفق مع موقعه في المجتمع. ويكون هذا العيش والسلوك والعمل الخالي من إحساس التعلق بالأشياء القضيةَ الرئيسةَ التي تجعله يحيا في هذا العالم دون أثرة أو أنانية.

تعترف مدارس الهندوسية والجينية والبوذية بعقيدتي كَرما والتقمص. وتؤمن هذه المدارس بأن الإنسان ملتزم بتحقيق الكمال الروحي والأخلاقي إن هو شاء الخلاص. وتعتقد أيضًا أن العدالة هي قانون الحياة الأخلاقية تمامًا كما أن ناموس "العلة والمعلول" قانون العالم الطبيعي: "ما يزرعه الإنسان إياه يحصد." ولما كانت

العدالة والكمال الأخلاقي لا يتحققان في عمر واحد، فإن هذه المناهج تؤمن بالتجسد من جديد (التقمص) حتى يُمنَح الإنسانُ فرصةً تتيح له إمكان التقدم الأخلاقي الذي يؤدي به إلى الكمال. لذا يعزز الفلاسفة الهندوس، باستثناء أتباع مدرسة تشارفاكا، منذ بدايات الفيدا حتى المراحل اللاحقة، فكرة النظام الأخلاقي للكون. فكَرْما والتقمص هما الوسيلتان اللتان، من خلالهما، يتحقق النظام الأخلاقي للكون في حياة الإنسان.

**نماذج من الفلسفة الهندية:**

يمكن الحديث على عدد هائل من النماذج الفلسفية الهندية مما يدل على ثرائها، من بينها الأوبانيشاد، والهندوسية، والبوذية.

**1: الأوبانيشاد**

وهو من أهم الكتب المقدسة الهندية، عدَّدَ منه بعضهم مأتي نسخة، وتمثل الأجزاء الختامية من الفيدا وأساسها وجوهرها. حيث سيطرت على الديانة الهندية ثلاثة آلاف سنة. وجاء مصطلح أوبانيشادا من أوبا التي تعني قريب، وني تعني أسفل وشاد التي تعني يجلس. حيث كان التلاميذ يجلسون قرب معلمهم ليتعلمو عنه الحقيقة التي تقضي على الجهل.

وهي تقول بالإله الواحد، الذي تعتبر آلهة الفيدا مظاهر له: " لأننا نخاف ممن تحترق النار لأجله، ومن تشع الشمس لأجله، ونخاف ممن تقوم الرياح والغيوم والموت بواجباتها لأجله" وهو يتميز عن الخليقة في انفراده بالخلق، بأبديته، وحضوره، وعدم فنائه وكونه أصل الموجودات. ويتميز هذا الإله البراهمان الذي يتعالى عن الظهور عن البراهمان الذي يتجسد فينا في الكون.

وفي مجال الفضيلة نجدهم يميزونها عن اللذة: "إن اللذة والفضيلة تأتيان إلى الإنسان والحكيم يميزهما... وأما طريق المعرفة الطويل فيبدأ بالتهيؤ الأخلاقي، "فلا يستطيع أحد أن يصل إلى الروح دون جلد أو نظام" والهدف من التدين الوصول إلى حالة من الرضا والقبول، وإن كان الهدف النهائي إنما هو الوصول إلى حالة من الغبطة والسرور أو ولادة جديدة في عالم جديد وهو ما يعني التخلص من الوجود المادي (كارما) لصالح الخلاص (موسكا)، وهو ما يعني الاتحاد مع الإله براهما عنوان الكمال، ولا يكون ذلك إلا من خلال اليقظة الكلية. لكن هذا لا يكون إلا لمن تجرد للعبادة وطاعة الإله، هذا الإله الذي لا يمكن إدراكه: "إننا لا ندركه بالكلام أو بالعقل أو بالنظر. وكيف يمكن إدراكه إلا بقولنا: إنه موجود"، ولذلك كانت رؤية الإله. ولا تكون هذه الرؤى إلا لأصحاب النفوس الكبيرة.

**2: الهندوسية**: الهندوسية أو الهندوكية ويطلق عليها أيضاً البراهمية، هي الديانة السائدة في الهند ونيبال. وهي مجموعة من العقائد والتقاليد التي تشكلت عبر مسيرة طويلة من القرن الخامس عشر قبل الميلاد إلى وقتنا الحاضر، ولا يوجد لها مؤسس معين تنتسب إليه شخصياً وإنما تشكلت عبر امتداد كثير من القرون، أحد أصولها المباشرة هي ديانة فيدا التاريخية منذ هند العصور الحديدية، ولذلك فكثيراً ما يطلق عليها أقدم ديانة حية في العالم.

تركز على صلاح الإنسان أو ألوهيته في الأساس. تتقبل الكثير من المفاهيم الدينية التي تبدو متعارضة. الفيد (vedas) وهي النصوص المبكرة تنص على آلهة عديدة معظمها تجسيد للظواهر الطبيعية ومن أهمها Vishnu وكريشنا.

أما الأوبانيشادا (Upanishads) وهي النصوص المتأخرة تتحدث عن قوة أو حقيقة مطلقة فوق الفهم وغير شخصية بدلاً من آلهة عديدة وتدعىبراهاحا (Brahman)، وتُعلّم أيضاً أن عمق كينونتنا (Atman) متماثل مع هذه الحقيقة المطلقة. وأن العالم المادي وشخصياتنا الواعية هي أقل من الحقيقة الكاملة وذلك نتيجة لمايا (Maya) وهي القدرة التي صنع بها الإله الغير شخصي هذا العالم الأقل من حقيقي. "وبهذا فهي تُعلّم بمبدأ وحدة الوجود، أن الكل في الأصل واحدٍ ولا يوجد شخصيات أو تميز لا في البشر ولا في الواقع الإلهي، فرغم جاذبية الفكرة بسبب توقنا للأَمحدود نجد أن ذواتنا وَهْمٌ".

كما عرضنا يوجد تياران، الأول الشعبي يركز على التعبد للآلهة المختلفة "حيث يصعب علي العامة فكرة عدم وجود شخصيات ويروها غير مشبعة"، أما الآخر فهو فلسفي ويتبني وحدة الوجود. لكن تظل الآلهة غير حصرية لكنها طرق مختلفة لفهم البراهماتية (Brahman) "الحقيقة المطلقة وراء الكل".

**3: البوذية:** تعتبر خارجة من الهندوسية علي يد "سيدارتا جوتاما" أو "بوذا" الذي كان أميراً هندوسياً لكن نتيجة لرؤيته الشر والألم (فبعد عزلة عن العالم الخارجي رأى في وقت رجل عجوز وآخر مريض وثالث ميت محمول للمحرقة) وبعد رفضه للتأمل الجمالي طورَّ معتقداته ورفض مفاهيم بوذية واتجه للتأمل والتفكير العميق.(كان يرفض اتجاه المتعة والرغبات في هذا العالم المتألم والذي يحوي الشر).

للبوذية فرعان يبدوان كديانتين مختلفتين أحدهم محافظ ويشابه أكثر الأصل (Theravada). هذا الفرع يرى بوذا كإنسان ولا يتحدث عن آلهة ويرى الوصول لنيرفانا عن طريق المجهود والتنوير. ونيرفانا هنا هي حالة من اللارغبة، لا ألم، لا متعة، لا ذات.

الفرع الثاني مايهانا (Mayhana) يُعبَد بوذا كتصوير الإله، ويري هذا الفرع الخلاص كنعمة من صور الإله ونتيجة لعبادته.

**الحقائق الأربعة النبيلة لبوذا:**

**أولاَ**: يوجد شر وألم في العالم، **ثانياً**: هم نتيجة الرغبات والتوق إلي أشياء وأساسها هو الجهل. **ثالثاً**، يتخلص الفرد من الألم بتخلُّصِهِ من رغباته. **رابعاً**: إطفاء الرغبات بطريق الثمان خطوات وهي: النظرة الصحيحة، القرار السليم، الكلام السليم، السلوك السليم، الوظيفة الصحيحة، المجهود السليم، المراقبة الصحيحة والتأمل السليم.

بعكس الهندوسية بوذا يرى إمكانية تحسين المكانة الاجتماعية وكسر دورة الحياة لكن مبدأ الكارما وتناسخ الأرواح متشابه، عدا أن ما يتناسخ ليس روح لكن مشاعر وانطبعات ولحظات لأنه لا يوجد ذات أو روح لتنتقل من كائنٍ لآخر. فإذا كانت الهندوسية تركز على أن الكل واحد فالبوذية تركز علي أن الفرد والذات هم وهم وعلى اللاشيء. فالنيرفانا هي ليست مكان لكن حالة من اللاألم واللارغبة واللاوعي الذاتي واللامادة.

أقرب وصف استخدمه "جوتاما لنيرفانا": هي حالة فيها لا أرض ولا ماء، لا نور ولا هواء، لا مكان لانهائي ولا زمن لانهائي، لا أي نوع من الوجود، لا تصور أو عدم تصور، لا نشوء ولا موت، لا سبب ولا تأثير، لا تغيير ولا ثبات. (يمكننا أن نسأل من أين جاء بوذا بمفهوم الشر إلا إذا كان يوجد شئ إسمه خير ومن أين أتي بمفهوم الألم إلا إذا كان هناك مفهوم الراحة والمتعة).